

## عذرا يا عز بن عبد السلام

بقلم الشيخ نور الدين قرّة علي

منذ عشرات أو مئات السنين ونحن نعيش على ذكريات التاريخ ، تحيا أفكارنا على مائدة النماذج التي تناءت عن واقعنا .. وتحولت إلى نجوم تتلألأ في مخيلات عقولنا ، وكل ذلك جعل جسد واقعنا يشحب لونه ، ويذهب بهاؤه ، لأن الاقتصار على الماضي دون حركة في أرض الواقع يدل على هروب إلى ضياع المستقبل .

هكذا كنا باختصار ، حتى جاء عمالقة اللحظة وخرجت كمعجزة باهرة مواكب الثورة ، وتفجرت في دياجير أحلامنا يقظة الأمة ، كان ثوب تاريخنا الذي نستتر به عورة واقعنا .. ننسجه من خيوط الأحداث السابقة .. نلملمها من هنا وهناك ، فلکم تردد على مسامعنا أخبار السابقين أمثال عمر وخالد وصلاح الدين وابن ماجه ، نستجلب العز بن عبد السلام من رقادته ، ونوقظ الفارابي من هدأة مقامه ، ونجمع المنشدين ليغردوا أبياتا لشعراء ، ونصّفُ المجلدات ليتكلم الخطباء ، ثم تنصرف الحشود إلى صحراء واقعها لا تؤكد الأخبار في حياتها إلا بعد المسافة ، وشدة التباين بين سمعها وحياتها ،

حتى أتى القدر بما بُهر له البصر ، وحدثت المعجزة التي أخلى كل واحد مسؤوليته عن إحداثها ، أو التنبؤ بحدوثها ، وانفلق البحر بضربة الأجيال الشابة النحيلة ، وسارت في أعماق أمواجه التي فتحت كل أذرعها ، ليمر هؤلاء من ظلمات الواقع إلى فجر جديد ، ومن شرذمات الفوضى إلى جمع التوحيد ، وكانت هذه الأمواج تندفع في الطرف الآخر لتبتلع كل جبار عنيد ، يصرخ هذا بقوله لا توريث ولا تجديد ، ويرد الثاني لقد فهمتكم .. لقد فهمتكم ، وهو يقرر الهروب كما يهرب الرعدي ، ويتشبث آخر وهو على سريره مرضه بأمال العودة ، ويعلم الآخر بأنه لن يحكم قطراً بل يبشره أعوانه بأنه ينبغي أن يحكم العالمين .

وها نحن جميعاً نتلوا قوله تعالى :

{ قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتزعزعه الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شيء قدير }

فلا نستحضر أخبار الماضي نفسر بما آيات ربنا ، ولا نفتح سجل التاريخ ليروي لنا بعض أسرار معانيها ، بل أصبحنا نتلمس المعاني من سجلات الصحف أو الفضائيات أو أجهزة الاتصالات بأيدي كل واحد منا ، فسبّحنا

باسم مالك الملك ، وفهمنا معنى توثي الملك من تشاء ، وذهلنا ونحن نرى ترجمة تترع الملك ممن تشاء في واقع  
سلاطين ورؤساء ،

تترع .. لأن التشبث كان شديدا.. فظيعا ، تترع .. لأن كل هذه الأنظمة قد تجذرت وتمسكت بكل أجهزتها  
وعسكرها وأطماعها ..

إننا الآن نرى شباب الأمة ، شباب الثورة ، شباب الأمل ، كيف يجرون أكبر الطغاة إلى محاكمته أمام الخلق  
جميعاً ، مما يدفعني اليوم أن أعتذر وبكل إجلال ، لمولانا العز بن عبد السلام ، الذي كنت أعيش ذكراه حلماً ، كيف  
ينادي ببيع الأمراء لا بمحاكمتهم ، إني أعتذر لمقامه العظيم ، لأنني أرى بعيني اليوم عزاً وسلاماً متشخصاً بملايين  
الشباب الذين يصرخون بصوت هادر تسمعه آفاق الزمن ، ماضيه وحاضره و مستقبله ، ويعصف هتافها بأكثر  
طواغيت الزمن وفراعنة العصر ، فتراه متمسكا ثم مخلوعا ثم مبعدا مقبوراً ثم محاكماً مأسوراً ..

عذرا يابن جبير فلقد سمعنا هديرك أمام الحجاج في قراءات طالت وطالت ، عذراً فإننا نسمع اليوم حناجر  
المؤمنين تخرج جموعاً لتندد بظالمي هذا الزمن وظالمي تاريخك ، وتسقط وهمهم من القلوب وتزيحهم عن مواقع  
التجمهر ، عذرا لكل أبطالنا الميامين عبر التاريخ ، عذرا لكل من نصبنا لهم في قلوبنا معاني الثبات والنضال ، عذرا  
فقد حركنا اليوم ما همد من النماذج ، وما غيب من الأثر ، أيها الشباب يا من طوحتم جبايرة الزمن بنفخة  
أصواتكم ، يا من بعتم أمراء الطغيان اليوم بغيار أقدام ثباتكم ، يا من سقتم إلى محاكم العدل فراغنة العصر بوحدة  
اعتصامكم .

أيها الشباب ... تخلقوا يدا بيد وضموا بترابط محبتكم موقفكم الذي يتقاطع اليوم مع كل فئاتكم ، دعاة وفنانين  
وعمالاً ومثقفين وتجاراً وكادحين ، فالأمر أمر الأمة وفي كل وطن لكم حركة ، منها ما بدأ بالبناء بعد الهدم ، ومنها  
ما وصل إلى نهاية الهدم ليبدأ البناء ، ومنها ما زال ينتظر { وما بدلوا تبديلاً } ورددوا قوله تعالى :

{ قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير  
إنك على كل شيء قدير }